معاشر المؤمنين خطبة: العدل في الاخلاق الخطيب :يحيى العقيلي

العدل والقسط والوسطية قوام الحياة وميزان إعتدالها وأتزانها وإستقرارها ، قال تعالى :" والسماء رفعها ووضع الميزان ألاّ تطغّوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان "(الرحمن 7-9) وحديثنا اليوم -عباد الله- عن جانب من جوانب العدل والقسط والوسطية، وهو العدل مع النفس في تربيتها على الاخلاق الفاضلة ، وهي ملخص لما ذكره الامام بن القيم رحمه الله في فصل نافع غاية النفع لكل مرب ومعلم بل ولكل مسلم ينشد الارتقاء بنفسه لمراتب الايمان العالية وشعبه السامية ، ماملخصه أن :

للأخلاق حدٌ متى جاوزته صارت عُدواناً ، ومتى قصرت عنه كان نقصاً ومهانة

فللغضب حدٌ : وهو الشجاعة المحمودة ، والأنفة من الرذائل والنقائص ، وهذا كماله . فإذا جاوز حده تعدى صاحبه على العباد وجار ، وإن نقص عنه جبن ولم يأنف من الرذائل،وهذا ماأوضحه القرآن الكريم بقوله تعالى "وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (41) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (42) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(43)(الشورى)

وللحرص حد : وهو الكفاية في أمور الدنيا ومتاعها ، وحصول البلاغ منها ، فمتى نقص من ذلك كان مهانة وإضاعة ، ومتى زاد عليه ، كان شَرَهًا ورغبة فيما لا تحمد الرغبة فيه،وفي هذا الميزان الاخلاقي قال تعالى "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ"

وللحسد حد : وهو المنافسة في طلب الكمال ، والأنفة أن يتقدم عليه نظيره ، فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ، ويحرص على إيذائه ، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس ، قال تعالى بعد ذكر نعيم الجنّة" وفي ذلك فليتنافس المتنافسون "

وللشهوة حد : وهو راحة القلب والعقل من كد الطاعة واكتساب الفضائل والإستعانة بقضائها على ذلك ، فمتى زادت على ذلك صارت نهمة و طمعا ، ومتى نقصت عنه في طلب الكمال والفضل كانت ضعفاً وعجزاً ومهانة،قال تعالى :" زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ"(آل عمران14)

والجود له حد بين طرفين : فمتى جاوز حده صار إسرافاً وتبذيراً ، ومتى نقص عنه كان بخلاً وتقتيرا ، قال تعالى " والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما"ً

وللتواضع حد : إذا جاوزه صار ذلاً ومهانة ، ومن قصر عنه انحرف إلى الكبر والفخر

وللعز حد : إذا جاوزه كان كبراً وخلقاً مذموماً ، وإن قصر عنه انحرف إلى الذل والمهانة

وقد إمتدح الله جلّ وعلا عباده المؤمنين الذين حققوا ذلك الجمع بين العزة على الكافرين والذّل للمؤمنين بقوله تعالى "ياأيها الذين آمنوا من يرتّد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبّهم ويحّبونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم"

وفقنا الله لمايحبه ويرضاه وجعلنا من عباده المقسطين وأوليائه المتقين أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم

معاشر المؤمنين

إن الموفق من أخذ بهذا التوازن الاخلاقي، المتمثل بالوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، وصدق الله تعالى بقوله :" وأقسطوا إن الله يحب المقسطين " عندها يرتقي المرء في سلم الرّقي الاخلاقي والسّمو الايماني، وفي الاخرة في درجات الجنة ونعيمها ، فإن الاخلاق الحسنة باب للدرجات العلا من الجنة ، قال صلى الله عليه وسلم :" إن من أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ".

والسبيل لذلك عباد الله جليّ وواضح لاثاني له، وهو تربية النفس على كتاب الله تعالى و هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في حجة الوداع فقال إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه(صحيح الترغيب والترهيب)